محاضرة 17

نوربيرت إلياس البنيوية التكوينية

مولده و نشأته

ولد إلياس عام 1897 في عائلة ميسورة الحال الى حد ما من مدينة بريسلو(حاليا Wroclaw).وهناك تلقى تعليما ألمانيا كلاسيكيا.

-استدعي للتعبئة عام 1915

-في نهاية الحرب درس الطب و الفلسفة

-في عام 1925 اتجه صوب السوسيولوجيا

-تابع كارل مانهايم الذي اصبح مساعده في فرانكفورت

-من مؤلفاته "سيرورة الحضارة"1939

-طبع مرة ثانية عام 1969 في ثلاث مجلدات تحت اسم حضارة آداب السلوك، دينامية الغرب، ومجتمع البلاط.

توفى في أمستردام عام 1990.

البنيوية التكوينية

لغة:

من الوجهة اللغوية جاءت عبارة "البنيوية التكوينية" ترجمة علمية اصطلاحية للاصل الفرنسي:Le structuralisme génétique.فإن كلمة Strucralisme مشتقة من كلمة Structureاي البنية ،فإن كلمة génétique بقيت محل خلاف...فتارة يقال معناها توليدية و تارة أخرى التكوينية.

اصطلاحا:

عرف جون بياجيه البنية في قوله" إن البنية هي نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما و يزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه(...)وقصارى القول ،أنه لابد لكل بنية إذن من أن تتسم بالخصائص الثلاثة الآتية: الكلية، و التحولات، والتنظيم الذاتي"

صفة التكوينية تعني الصيغة الاستدلالية للفعل ،وتتبع مسار تكوينه داخل العمل الفني و تعيد تركيب بناه على الدلالة الاجتماعية التي يتجه إليها.

تجدر الإشارة أن مصطلح **البنيوية التكوينية** لم يكن من وضع **غولدمان** من حيث الاساس و إنما من إنشاء العالم النفساني و البنيوي الفرنسي **جان بياجيه** و هذا ما يخبرنا به غولدمان نفسه فيقول:"لقد حددنا المنهج الإيجابي في العلوم الإنسانية و بصورة أكثر تحديدا ،المنهج الماركسي،بمساعدة مصطلح يكاد يكون متطابقا معه (والذي استعرناه مسبقا من جان بياجيه)و هو مصطلح **البنيوية التكوينية**

الخلفية النظرية للبنيوية

-...مانطلق عليه أحيانا البنيوية ،وهو مزيج من أفكار دوركايم و أصحاب اللغويات البنيوية في بداية القرن العشرين...وربما كان كلود ليفي ستراوس شخصية حاسمة هنا،حيث انه اتبع مند البداية اتجاه دوركايم و مارسيل موس في النظر الى المنطق الثقافي على أنه يعكس التنظيمات البنيوية

الخلفية النظرية للبنيوية التكوينية

...من المناسب بالتأكيد التركيز على الفترة البنيوية ،باعتبارها الفترة الأساس و مصدر التفكير البارز في تثبيت أقدام النظرية. ومن هنا نرى أن نظريات ماركس، فيبر و دوركايم موجودة و مندمجة طوعا في البنيوية

يقوم هذا المنهج شأن كل المناهج النقدية على مجموعة من الضوابط و المنطلقات التأسيسية

صاغها غولدمان في شكل مقولات جامعة تقوم كل منها على بلورة مفهوم نقدي يمثل ركنا قارا من أركان الفلسفة الجدلية الماركسية، أي أن الخطوات القاعدية للبنيوية التكوينية ماهي في الواقع سوى امتدادات معرفية للاتجاه الفكري والنقدي الماركسي

مابعد البنيوية

...ان تراجع البنيوية أتاح بروز تيارات نظرية يمكن أن نصنفها ضمن أربعة اتجاهات رئيسية ،وهي الاتجاهات التي تميز،كمايبدو،الجوهري من الأشكاليات السوسيولوجية الراهنة لهذا نقترح على مستوى الصياغة الأنية –ومهما كانت الريبة التي نحس بها تجاه هذه العناوين،أن نختار لهذه التيارات الأربعة النظرية التعابير التالية :

1-البنيوية التكوينيةStructuralisme génétique

2-علم الاجتماع الدينامي Sociologie dynamique

3-الطرح الوظيفوي و الستراتيجي Approche fonctionnaliste et stratégique

4-الفردوية المنهجيةL’individualisme méthodologique

هي رد فعل لبنيوية ليفي –شتراوس ،وتؤكد ما بعد البنيوية (Post-structuralism)تنوع الرموز الثقافية و الأبنية الاجتماعية و هشاشتها.وتطور هذا الفهم في العديد من المجالات الثقافية ووجد أشكالا متنوعة من التعبير في أعمال جاك دريدا و جاك لاكان و ميشل فوكو...ويرون أنه لا توجد حقيقة مستقلة عن البنيات النصية و الثقافية التي يمكننا من خلالها معرفتها.

أن تعبير ما بعد البنيوية (Post-structuralism)يمكن أن يستخدم مؤقتا للدلالة على مجموعة الأعمال التي تندرج،دون أن تسند بالضرورة و بصراحة الى البنيوية،ضمن تطور المبادئ العامة Principes généraux التي ،مقدما ،صاغها في نسق Systématisés

منظروا هذه المدرسة

المقومات الأساسية لمنهج البنيوية التكوينية

البنية الدلاليةLa structure significative

وهي المبدأ الأول في مسار التحليل البنيوي التكويني،...و المقولة الأساسية التي تتقصاها دراسته نحو استكشاف رؤية العالم، ذلك أن هذه الرؤية تنطلق من التصور الجمعي و الشمولي لمفهوم الرؤية، بداية من تضافر البعدين الفردي و الجماعي ،حيث تتحدد الجماعة باعتبارها مجموعة أفراد تجاوزوا فرديتهم ،وعبارة "تجاوزا فرديتهم" تعني تنازلهم عن فرديتهم لصالح الجماعة

2-الفهم و التفسيرLa compréhension et l’explication

إن الفهم و التفسير شقان متلازمان ومتعاقبان من عملية واحدة تتم على مستوى الموضوع في مستويين يختلفان نوعيا من حيث دراسة البناء الدينامي ،يشمل الأول على مستوى الضمني الداخلي، والثاني على المستوى الخارجي وما يحايثه من بنى تؤثر على الموضوع ،وبالتالي فهي ضرورية في التأويل و الشرح

"فاذا كان الفهم عملا متصلا في النص فإن عملية التفسير هي وضع هذا الأخير في علاقة مع واقع خارج عنه"

ويعرف غولدمان التفسير بكونه عملية "إدراج بنية دلالية في بنية أخرى أوسع منها تكون فيها الأولى جزء من مقوماتها"

3-مستويات الوعي

الوعي بالنسبة لغولدمان "مظهر معين لكل سلوك بشري و يتبع بطبيعته كل عمل"

تتمايز في البنيوية التكوينية ثلاث مستويات كبرى للوعي

أ-الوعي القائم:

ذلك الوعي الناتج بطبيعته عن الماضي كموروث بكل زخمه الحضاري،والثقافي و التاريخي الذي جاء به الى الحاضر الذي يعيد فهمه و صياغته انطلاقا من تلك المؤثرات و المعتقدات الراسخة في ذهن الجماعة الاجتماعية

ب-الوعي الممكن

هو ذلك الوعي المتطور عن الوعي القائم

ج-الوعي المتوافق

-كل واقعة اجتماعية تفترض وقائع وعي ،والتي من دون فهمها لن تكون مدروسة بصورة عملية

-أن الخط البنيوي الرئيس لوقائع الوعي هذه هو درجة توافقها و نتيجتها الحتمية هي درجة لا توافقها مع الواقع

-أن الوعي الفاهم و المفسر لأحداث الوعي هذه ،ودرجة توافقها أو لا توافقها ...لا يمكن تطبيقه إلا ضمن كليات اجتماعية أوسع منها نسبيا ...هذا الإدراج هو الوحيد الذي سيسمح بفهم دلالتها و ضرورتها

د- الوعي الخاطئ

كما يمكن أن يكون إدراكه لهذا الواقع وهميا وزائفا و مخالفا لمجريات الواقع و منحرفا عن جادة الصواب و المنطق ،وبالتالي يكون وجود مرحلة رابعة تسمى الوعي الخاطئ أو الزائف أمرا ضروريا

4-رؤية العالم

وهي الغاية النهائية من وراء كل الخطوات السابقة

مفهـــوم السوسيولوجيا عند نوربرت إلياس:

تهدف السوسيولوجيا،عند **نوربرت إلياس**، إلى دراسة الأفراد والمجتمع على حد سواء، إذ لايمكن عزل طرف عن طرف آخر. وبالتالي، تنكب السوسيولوجيا على دراسات العلاقات الموجودة بين الأفراد داخل المجتمع، إذ لايمكن دراسة الفرد بمعزل عن الجماعة أو المجتمع. كما للمجتمع وبنياته ومؤسساته تأثيرا واضحا في هؤلاء الأفراد إلى حد الجبرية والحتمية. ويعني هذا أن إلياس يوفق بين الفعل وبنية المجتمع على غرار بيير بورديو(Bourdueu)، ولوسيان كولدمان(L.Goldmann)، وجيدينز(Giddens)، وغيرهم...أي: يجمع بين الفهم والتفسير، بين الذات والموضوع، بين الحتمية والحرية، بين المنهجية الكلية لدوركايم والمنهجية الفردية لماكس فيبر. ويسمى هذا الجمع بالانبناء السوسيولوجي.

ومن جهة أخرى، تعنى السوسيولوجيا بدراسة آداب السلوك لدى الأفراد، وفهم أفعالهم وسلوكياتهم الملموسة، ورصد علاقاتهم التفاعلية التبادلية، واستجلاء مختلف التحولات التي تنتاب الأفراد على مستوى الانبناء المجتمعي، عبر سيرورة الحضارة وتغيرها من حالة إلى

أخرى، في ضوء المعطيات التاريخية، والمجتمعية، والسياسية، والاقتصادية، والنفسية. ولافرق بين السوسيولوجيا والسيكولوجيا عند نوربرت إلياس، ولاسيما أن الباحث يدرس المجال العاطفي والشعوري والانفعالي والوجداني لدى الكائن الإنساني، في ضوء المقاربة السوسيولوجية.

المنهجية السوسيولوجية عند نوربرت إلياس:

يتبنى **نوربرت إلياس** مقاربة سوسيولوجية توفيقية تجمع بين الفهم والتفسير، بين التصور الكلي عند إميل دوركايم والتصور الفردي عند ماكس فيبر، بين الفعل والبنية المجتمعية عبر عملية الانبناء والهابيتوس. ومن هنا، فمقاربته انبنائية بامتياز(Configuration). بمعنى أن الواقع الاجتماعي يبنى من قبل الأفراد والفاعلين المجتمعيين، بناء على خبرات ماضية مستضمرة، أو خبرات حاضرة تستمد من الحياة اليومية، أو تتكون بواسطة الهابيتوس. وتشتغل هذه الخبرات على أساس أنها جبريات لاشعورية ولاواعية. وعلى الرغم من ذلك، يقوم الأفراد بحساباتهم، ويتخذون قراراتهم. أضف إلى ذلك، أن هذه الخبرات هي عبارة عن هابيتوس مجتمعي، يتبلور في شكل خطاطات وقيم وفضائل وعوائد يتشربها الفرد انطلاقا من المجتمع (الأسرة، والشارع، والقبيلة، والوطن، والأمة...). بمعنى أن القيم تنتقل عند الأفراد من جيل إلى آخر، فيتمثلونها على أساس أنها معايير ومقاييس للتكيف والتطبع مع المجتمع.وتشكل هذه المعايير والتصرفات والسلوكيات أدوات للمراقبة الذاتية والمحاسبة الشخصية. وقد استمدها الأفراد من المجتمع ومن حياتهم اليومية على حد سواء. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن المجتمع يمارس تأثيره في الفرد. كما يمارس الفرد تأثيره في المجتمع باختياراته وقراراته وإبداعاته. (حمداوي)

ثنائية الالتزام والحياد عند نوربرت إالياس:

استعمل **نوربرت إلياس**، في كتابه (مدخل إلى سوسيولوجيا المعرفة)، مفهومي الالتزام والحياد، ويحيل المفهومان معا على ثنائية الذاتية والموضوعية. ويعني هذا أن الدارس يبحث عن الطريقة التي ينبغي أن يتعامل بها السوسيولوجي مع الظواهر المجتمعية، فهل سيبقى محايدا أم يدخل ذاته في البحث؟

ويحيلنا هذا أيضا على إشكالية عويصة في العلوم الإنسانية، هل يمكن التعامل معها على الأساس الوضعي التفسيري؟ أم على الأساس التفهمي الروحي ؟ أم على أساس الجمع بين الفهم والتفسير على حد سواء ؟

ويعني هذا أن الحياد يستلزم الموضوعية في البحث السوسيولوجي.أما الالتزام، فيعني إدخال الذات أثناء التعامل مع الظواهر المجتمعية.

وفي الحقيقة، يتضمن كل سلوك جانبا من الموضوعية الحيادية، وجانبا من التدخل الذاتي (الالتزام).أي: يمكن دراسة الفرد في ضوء المقاربة السوسيوتاريخية، بغية فهم كيف يتطور سلوكه أو فعله المجتمعي عبر التاريخ، ضمن سيرورة الحضارة، ورصد مختلف العلاقات التفاعلية بين الأفراد في علاقتهم مع محيطهم وبيئتهم.

ومن ثم، يوفق نوربرت إلياس بين الفهم والتفسير، ويرفض دراسة الظواهر المجتمعية تفسيرا علميا ووضعيا فحسب، بالاعتماد على التفسير والمقارنة والتكميم الرياضي أو الإحصائي ؛

لأن ذلك يخلق نوعا من الحياد الوهمي.لذا، لابد من الجمع بين الذاتية والموضوعية من جهة، أو بين الفهم والتفسير من جهة أخرى (حمداوي)

النظام الذاتي للعلاقات الإنسانية عند إلياس نوربرت

ليس بالأمر السهل أن نغلق الهوة الفكرية التي قد تنشأ أحيانا بين الفرد و المجتمع ...وفي مستوى التفكير الحالي لغالبية الناس، مازال من الصعوبة بمكان إدراك حقيقة أن العلاقات يمكن أن يكون لها بنية و نظام ذاتي حتمي .

...نجد مجموعات بشرية محددة تدور افكارها ،فيما يتعلق بالعلاقات بين الخبرات المجتمعية النوعية ،قبل كل شيئ حول النظام الحتمي الذاتي للعلاقات الإنسانية ،وتجد نفسها دوما ملزمة من جديد لتخفي حقيقة أن الأمر هنا يتعلق بنظامية العلاقات البشرية .وبما أن هذه المجموعات البشرية لا تستطيع أن تتصور نظاما قانونيا إلا للمواد أو القوى المادية ،فإنهم يتصورون عن غير عمد ،مادة ذاتية للعلاقات البشرية التي يلاحظونها، فيما وراء الأفراد.ولا تستطيع أن يتصوروا المجتمع إلا كأمر غيبي فيما وراء الأفراد ،وليس ذلك إلا بسبب هذه الحتمية المجتمعية النوعية. ويخترعون كحملة لهذه الحتميات "روحا جامعة" أو ربما "عضوية جامعة" أو قد يظنون حسب كل حالة ،أن هناك "قوى" فوق فردية مادية وقوى فوق فردية معنوية بالتوافق مع المواد و القوى الطبيعية

مفارقة العنف الحضري

إن سيرورة الحضارة التي وصفها نوربيرت إلياس لا تظهر فقط من خلال آداب المائدة و قواعد الحياء و الأخلاق الجنسية :فهي تتناول بشكل أكثر مباشرة أيضا تراجع مستوى العنف الذي تسمح به الأخلاق العامة .القضية واضحة بين الناس :إن ضبط الحق بالقتال ثم بالثأر الشخصي عن طريق الدولة ،هو نتاج التطور في المؤسسات الذي أصبح حكرا مند القرن18.ومندئذ وضع الإستخدام الاجتماعي للعنف الخاص تحت نظر البوليس و العدالة

سلطة الدولة هي محرك الحضارة

أن تطور آداب السلوك ،كما يوضح إلياس ،ما كان ليحدث دون "تدجين المحاربين" و تحويلهم الى نبلاء في البلاط: نشاهد بالفعل بين القرنين 12-18في فرنسا على الأقل ،صعود السلطة الملكية و تحول الطبقات الإقطاعية الى نبلاء البلاط .وهناك فرض الأمير أثره على كامل المحيطين به في البلاط :الحب و الحرب و آداب المائدة و اللياقة و قواعد النزاعات .وفي الوقت نفسه كان المجتمع يغتني و يزداد تعقيدا ،فأصبح الناس أكثر إعتمادا على بعضهم البعض ،وارتبطوا "عضويا" عن طريق تقسيم العمل، ولم يعودوا يقدرون على العيش في منفصلين في جماعات منغلقة على نفسها ..وهنا كما يقدر إلياس ،يكمن السببان الرئيسيان لظهور أخلاق مؤسسة على السيطرة المتزايدة على الغرائز البدنية و الوجدانية في الطبقتين المهيمنتين ،النبلاء و البرجوازية .لم يعد الأمر متعلق فقط بتطبيق قواعد اللياقة و الحياء و التحاشي ،إنما الوصول الى الضبط الذاتي لكل واحد ،خاصة فيما يتعلق بالاحتكاكات الجسدية و الجنس و العنف

المراجع

بيار أنصار. (1992). *العلوم الاجتماعية المعاصرة* (الإصدار 1). (نخلة فريفر، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي العربي.

جميل حمداوي. (بلا تاريخ). نوربرت إلياس السوسيولوجي المنسي. *مدونة يوسف رزق*. تم الاسترداد من http://www.almothqaf.com/index.php/idea2015/890347.html

جون سكوت. (2009). *علم الاجتماع:المفاهيم الاساسية*. (محمد عثمان، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للابحاث و النشر.

جوناثان أتش تيرنر. (2019). *علم الاجتماع النظري:مقدمة موجزة لأثنتي عشرة نظرية اجتماعية*. (موضى مطني الشمري، المترجمون) السعوية: دار جامعة الملك سعود للنشر.

فيليب كابان، و جلن فرنسوا دورتيه. (2010). *علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية أعلام و تواريخ و تيارات* (الإصدار 1). (إياس حسن، المترجمون) دمشق: دار الفرقد.

محمد الأمين بحري. (2015). *البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية الى الفصول المنهجية*. لبنان: منشورات ضفاف.

نوربرت إلياس. (2014). *مجتمع الأفراد* (الإصدار 1). (هاني صالح، المترجمون) سورية: دار الحوار للنشر و التوزيع.